

شهادات للإسلام

من غير المسلمين

للأستاذ محمد عبد الوهاب فايد

وقال الأستاذ فارس الخوري :

إن محمداً أعظم عظماء العالم ، ولم يجد الدهر بعد مثله . والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها ، وإن محمداً أودع شريسته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس إليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية . إن محمداً أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم ، فقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة عرفت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها .

وقال الأستاذ أيضاً : البون شاسع بين شريعتي موسى ومحمد عليهما السلام ، فالأولى : تأمر بالتقتيل بلا إنذار ولا عهد ولا صلح ولا دعوة لإيمان ، فلا يقبل من الأعداء اليهود ، ولا يصمهم من القتل والفناء الإيمان ، خوفاً من الارتداد فيما بعد ، ولا يسمح لهم بالرحيل والجلاء عن بلادهم لتخلو لليهود الفاتحين ، خوفاً من استجهاهم القوى والكر على الناصيين . والثانية : تأمر بدعوتهم إلى الإسلام ، فإن قبلوا الدعوة عصموا دماءهم وأعراضهم وأموالهم ، وإن أبوا فالجزية ، وإن أبوا فالتقتال . وهذه دعوة دينية قبل كل شيء .

وقال أيضاً : المقايمة بين الشرع الإسلامي والشرع الروماني لا تراها تستقيم لنا بالنظر لاختلاف الهدف والسنة بين الشرعين : الأول منهما قائم على قواعد العدل المطلق ومقتضيات العقول . والثاني على المصالح والمنافع الدنيوية . فيبني على هذا التخالف أن الأساس في الشرع الإسلامي مصلحة الفرد في الدنيا والآخرة : وفي الشرع الروماني مصلحة الجماعة فقط . وهذه المبادئ ظاهرة آثارها في كل صفحة من صفحات هذين الشرعين تفرق بينهما تفريقاً يتعاضى على المزج والتوحيد ، حتى إن الحكيم يكاد

قال (جول مهل) : العرب والرومان أقدر الشعوب في التشريع : وقال (الأستاذ نيس) : إن شريعة الحرب والأنظمة العسكرية عند الأسبانيين تأثرت كثيراً بشريعة الحرب عند المسلمين ، كما تأثرت فلسفتهم بفلسفتهم وآدابهم بآدابهم . وقال (فاندنبرغ) : لقد وضع للرفيق في الإسلام قواعد كثيرة تدل على ما كان ينطوي عليه الرسول وأتباعه من الشموخ الإنساني النبيل ، ففيها نجد من عماد الإسلام ما يناقض كل المناقضة الأساليب التي كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعى أنها تمشي في طليعة الحضارة .

وقال (بورغا) : ابتداء الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوأ طالع ، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها ، وبأكلون لحوم القتلى في أيام القحط ، وقد أسرفوا في القسوة حتى أنهم كانوا يبقرون البطون ويبحثون في الأمعاء عن الدنانير . أما صلاح الدين فلما استرد بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين ، ووفى لهم كل الوفاء بالشروط المقودة ، وجاد السلجون على أعدائهم ووطأهم مهاد راقهم ، حتى أن الملك العادل شقيق السلطان أعنت ألف رقيق ، ونودي بأن كل من يخرج من باب معين في المدينة يكون آمناً ، ومن على جميع الأرمن ، وأذن للبطريرك بحمل الصليب وزينة الكنيسة ، وأبيح للأميرات والملايك في مقدماتهن زيارة أزواجهن . وكان الجنود الذين يصحبون اللواتي أسرن بالجلاء يصفون عليهن أشد عطف ورواسونهن كل المواساة . ولا يمكن أن يظهر فضل صلاح الدين وكإل خلقه بأحسن من تهنيده السفن الإيطالية حتى ترد أولئك البائسين إلى ديارهم . وكذلك كانت سيرة الملك الكامل لما أخذ بمخنق المبلبيين في واقعة دمياط فأحاط بهم النيل وهددهم بالجماعة وإليك ما وصف المسلمين به أحد الذين حضروا الواقعة من مؤرخي النصارى قائلا : هؤلاء الذين قتلنا آباءهم وأبنائهم وإخوتهم وأخواتهم

الصلح وذمتهم ، كما ابتلوا أيضاً بالصبر على تغلبكم وتحكمكم بهم في بلادهم فعليهم الصبر وعليكم الوفاء .

وقال أيضاً : في الإسلام كثير من الأمور التي تستوقف نظر المطلع فيعجب عندها من فكرة العدل المجرد الراسخة في نفوس زعماء العرب وحرصهم على النهج القويم والصراف المستقيم في أمثالهم وصلاحهم مع محاربيهم ومعايديهم ، من ذلك الأصول التي وضعت للنبد عند جوازه ، فإذا فسخوا الصلح وأسبحوا في حالة حرب لا يناجزون خصومهم إلا بعد إعلامهم بالفسخ ، ومضى الوقت الكافي ليخبر الملك رعاياه في أطراف البلاد وعند مخوم المسلمين ، حتى إذا هاجمهم هؤلاء لا يكونون مأخوذون على غرة وغفلة . وهذه درجة من الإنصاف قصر عنها أهل زماننا مع ما عندهم من حقوق الدول وقواعد الحرب ، فإن دول العصر الحاضر تبدأ بالمحجوم وسائر أعمال الاعتداء طالما تعلق الحرب ، دون أن تكون مجبرة على الانتظار بعد الإعلان ، حتى إن بعضها تهاجم قبل إعلان الحرب بصورة رسمية كما فعلت اليابان بالمدركات الروسية الراسية في ميناء سيول في لوريا سنة ١٩٠٤ وغير ذلك . ومن هذا القبيل قاعدة عدم أخذ العامة بجزائر الخاصة ، وهذا مستند للآية السكرية (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فهوا عن تحميل المفارم أهل القرى بالجملة لأجل الجرائم التي يقتربها أفراد منهم . وأنت ترى أن حكومات هذا العصر تفرض الغرامات على القرى وتأخذ الطائعين فيها بجزيرة الماصين . وأمامنا حوادث التقتيل والتهجير في القرن العشرين بمجرى أوربة ومسمعا ، وإن شئت فقل برضاها ، تدلنا على أن العرب في عنفوان دولتهم كانوا أقرب إلى العدل . والإنصاف من أكثر أهل هذا الزمان .

وقد شرعوا أيضاً أن خروج الشراذم من الماهدين واعتدائهم على بلاد المسلمين بغير إذن ملكهم لا يعد نقضاً للمهد ولا يوجب الغرم على الملك الماهد أو على قومه بصورة عامة . وهذا مبلغ من الإنصاف جدير باحترام أرق الصور وأعلقها بالإنسانية والعدل . وما زالت الدول غير خاضعة لهذه القاعدة ولا طاملة بها ، فقد حلت إيطاليا الغرم دولة اليونان بسبب اعتداء بعض اليونانيين على البعثة الإيطالية في اليابان ، وفرضت عليها غرامة خمسين مليون فرنك مع أشياء أخرى واحتلت جزيرة كورفو ضمناً لإنفاذ

يستنبط استنباطاً الحكم بالمسائل المروضة في كل من الشرعين إذا اعتبر بهذه القواعد ورجع إليها . وفي الأعم الأغلب يكون ظنه يقيناً ؛ مثال ذلك مرور الزمان ، إما أن يسقط الحق وإما أن يسقط الدعوى ؛ فالشرع الإسلامي لا يمكن أن يقول بسقوط الحق لأن الحق يبقى في الذمة ، والفرد لا تبرأ ذمته إلا بالوفاء أو بالإبراء ، مهما مر من الزمان على الحق ، ولذلك قال إن الحق لا يسقط بتقادم الزمان وإنما يمنع الحاكم من سماع الدعوى فلم يكن الشارع الإسلامي يتأمين مصلحة الدنيا بل استهدف مصلحة الآخرة أيضاً ، في حين أن الشارع الروماني اتخذ الجانب الآخر وقال إن الحق المتروك يسقط والساقط لا يعود . ولم يكثر بأثقال الذمة وعقاب الآخرة . لذلك ترى أنه ليس من السلامة القول بأن أحد هذين الشرعين مأخوذ عن الآخر . وإذا طالعت أقوال فقهاء الأمتين في إحدى المسائل تجد كل فئة تمثل اجتهادها بطريقتها الخاصة مراعية المبادئ المتجذرة ذكرها ، غير متأثرة بالأساليب وطرق التعليل التي سلكتها الفئة الأخرى .

وقال الأستاذ كذلك : من أين لأمر من أمراء القرون الوسطى غير مأخوذ بالمطافة الدينية وغير حريص على سلامة آخرته أن يجعل رائده تقوى الله في حروبه وغزواته ، ويحرص على كل ما يفيده ثواب الخلود والمرتبة العالية في الجنة بالترام العدل والرحمة والبمد عما يشوب طهارة النفس وفضائل الأخلاق ؟ ذلك ما نراه شائعاً بين أمراء المسلمين وقوادهم ، وأمثلته كثيرة .

ومن أحسن ما تذكره في هذا القبيل أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد : (وبع منزل جنودك عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من ثقت بدينه ، ولا يرزأ أحد من أهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم ففوا لهم) .

وفي هذا الأمر الصريح لا يكتفى أمير المؤمنين ابن الخطاب بالتوصية الحسنة بأهل الصلح والذمة ، بل يتجاوز في الرفق بهم اليهود المقطوعة لهم ، وفيها أنهم يضيفون عسكر المسلمين ثلاثة أيام ، أما هو فأمر بتنحية المسكر عن قراهم حتى لا يصابوا بأذى ولا مرة . وفي هذه الفقرة بيان يدل به هذا الإمام العظيم عن ثقل وطأة التامنين على أهل البلاد ، وصرارة نفس الغالب في عدم الاعتداء على مغلوبه ، فقال لقومه : إنكم ابتليتم بالوفاء بمجرمة أهل

جنسه ، فكانت اضطهادات يزنطة الدينية دافعا للأرمن على الدخول في هذا العقد على عجل والرضا بسيادة العرب الذين هم أكثر تسامحا من الروم . وهذا الشرط الذي منح لأرمينية انتهى أمره بأن أصبح قاعدة للعلاقات بين العرب وجميع النصارى القاطنين في الولايات الأرمينية . وقد أعطى به مساوية عهده للأرمن ما داموا راغبين فيه ، ومن جلته ألا يأخذ منهم جزية مدة ثلاث سنين ، ثم ييذلون له بعد ذلك ما شاءوا كما عاهدوه ووافقوه ، وعليهم أن يقوموا بحاجة ١٥ ألف فارس منهم ينفق عليهم من أموال الجزية ، ولا يستدعى هؤلاء الفرسان إلى الشام ولكنه يرسلهم إلى سواها حيث يشاء ، ولا يرسل إلى معاقل أرمينية أسراء ولا قوادا ولا خيلا ولا قضاة ، وإذا أغار عليها الروم أمدها بكل ما ترده من نجدات . وهو يشهد الله على قوله .

فعلى هذا العقد أصبح الأرمن مستقلين في بلادهم تابعين لسيادة الخليفة العليا ، على شروط ارتضوها ، فاحتفظوا بأمرائهم ورؤسائهم وأوضاعهم العسكرية وطبقاتهم الدينية ، وكان الخليفة يكتب إليهم عهوده كما يكتب إلى أسراء المسلمين ، ويلبس الأمير الجديد في موكب حافل تاجا وخلمة فاخرة وسيفاً ويركب فرساً ويقبل كل رسوم الأمانة وشاراتها ، ثم يستمرض الجند في أحسن هيئاتهم وهم يرتلون الأناشيد ويعزفون بالموسيقا ، ويتلى بعد ذلك عهد الخليفة .

هذا وعلى ما كان يتمتع به أسراء الأرمن من الاستقلال ، فقد كان يشرف عليهم وراقبهم أمير من لدن الخليفة ، وقد يكون في الغالب عامل إحدى الولايات المجاورة .

وقال (الدكتور جب) المستشرق الإنجليزي :

لا بد للباحث عن مصير الإسلام أن يتساءل عما إذا كان من الممكن أن يحتفظ المسلمون بوحدتهم الدينية أمام هجمات العلوم الأوربية ، وتجاه الفوارق السياسية .

ولا بد له أن يفكر فيما إذا كان الإسلام عدواً للمدينة الغربية أو نصيراً لها ، وفيما إذا كان اقتباس المسلمين لهذه المدينة سيوجد بينهم فوارق فكرية تجعل منهم أمماً مختلفة الآراء والثقافة ؟

يظهر لأول وهلة أن الإجابة على هذا السؤال مستحيلة ، إلا أنه يمكن الباحث أن يتنبأ من سير الحوادث بشيء عن مستقبل الإسلام .

هذه المطالب . وفعلت انكساراً مثل ذلك مع الحكومة المصرية في مقتل السرى ستاك باشا فأخذتها بجرعة بعض الشبان . وجرى في بلاد الشام حوادث شتى من هذا القبيل في أثناء الحرب العامة السابقة ، وبعدها في أيام الثورة ، كما أخذت النمسا حكومة السرب بجنابة اغتيال ولي العهد بيد فتى سربى ، وكان ذلك سبباً مباشراً لاضطرار الحرب الكونية (الماضية) ، وغير ذلك . ومن المبادئ العربية العالمية اجتناب قتل النساء والأطفال ، وهذا أيضاً تقاصرت عنه المدينة الحديثة فإن وقائع الحرب العالمية وحوادث ثورة دمشق سنة ١٩٢٥ و١٩٢٦ وما لا يحصى غيرها من قواجم القتال أدلة ناطقة على أن قواعد حقوق الحرب التي تحظر على المحاربين إطلاق الفنايل على الأماكن غير المحصنة لا توجد إلا في بطون الأوراق والدفاتر .

وقال (هولتر ندورف) و(ريني) : إنه يوجد في الفقه الإسلامى جميع القواعد الجوهرية التي تتعلق بشريعة الحرب ، ولم تقتصر على الفتح والغنمة بل تجاوزتها إلى فرض الضرائب وذكر المواد المحرمة على التجارة ونظائرها ، مما لا يختلف إلا اسمه عما يستعمل في يوم الناس هذا .

وقال (غولد زيهير) : إن معاملة الفاتحين من المسلمين لأصحاب الأديان الأخرى في هذا العهد الأول الذي وضعت فيه أسس الشرع الإسلامى كانت معاملة رفيق ورحمة ، وليست الخطط التي تسيير عليها الدول الإسلامية في هذا العصر مما يقرب في أخلاقها السياسية من التسامح إلا وهي مقتبسة من القواعد التي وضعت في النصف الأول من القرن السابع ، ومن إطلاق الحرية لغير المسلمين من الموحدين في القيام بفروضهم الدينية... وكما أنهم كانوا أحراراً في دينهم فقد كان على المسلمين أن يحاسنهم في شؤون دنياهم ، وعد ظم أهل الذمة من الذنوب والكبائر .

وقال (السيو لوران) المؤرخ الفرنسى : إن أرمينية التي سبق لها أن دخلت في طاعة هرقل ، أحسنت بمسند ذلك استقبال المسلمين للتخرد من ربة يزنطة ، ولتستعين بهم على مقاومة الخزر ، فعاملهم العرب معاملة حسنة ، وتركوا لهم أوضاعهم التي ألفوها وساروا عليها .

أما الأساس الشرعى لاستقلال أرمينية المحلى ، فهو عهد إعطاء مساوية سنة ٦٥٣ إلى القائد تيودور رختوني وجميع أبناء

ولا أظهم إلا متمسكين بها .

ستمسبح القاهرة والقدس بمرور الزمان في الدرجة الثانية عند المسلمين بعد مكة ، وسيؤمها طلاب العلم من كل قطر إسلامي ؛ وستزودهم هاتان البلدتان بدعاية قوية للفكرة الشرقية يبتونها في بلادهم ، وتساعدهم على بثها الصحافة العربية التي بلغت من الرقي والتهذيب درجة سامية . أما الفوارق السياسية التي يخشى جانبها فلا تؤثر أبداً في إسلامية الشرق العربي .

وقال مستر بلانت (في الجزء الثاني من مذكراته) بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٠٩ كتب إلى برنارد شو يقول : أخشى أننا سننلاق أوقاتاً عصيبة في الهند ولكن على الهنود وعلى المصريين أيضاً أن يعملوا على تحقيق حرياتهم ، فليس في وسعنا أن نطلق سراحهم من تلقاء أنفسنا ما لم يتخلصوا من بين أيدينا عنوة ، وما لم نجابهنا الهزيمة وتداعي صرح الأباطورية في جهات أخرى ، فيضطرنا كل ذلك إلى الخروج من تلك البلاد كما خرج الرومان من بريطانيا .

محمد عبد الوهاب فاير

لاشك في أن البلاد العربية المتجانسة كمصر والجزيرة وسورية والمراق ستلعب دوراً يكون له الشأن الأول في مصير الإسلام . لهذه البلاد المتجانسة ثقافة راقية تتقدم يوماً فيوماً بفضل اللغة العربية الفصحى وسهولة المواصلات ، مما يساعد على توحيد الثقافة فيها توحيداً تاماً .

إن يقظة الإسلام في مصر وفلسطين والجزيرة والمراق وسورية حقيقة لا تنكر ، ولن تقف في سبيل هذه اليقظة عقبة ، خصوصاً وأن من المستحيل أن يجري في البلاد العربية ما جرى في بلاد الأتراك .

العرب يتمسكون بلغتهم وأديبهم ، ويتفننون بمجد الإسلام ، ولم تقم في بلادهم أية حركة وطنية إلا كانت الروح الإسلامية أساسها . فهل يفكر العرب بعد هذا بإبدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية ، أو أن يتنحوا عن لغة القرآن التي تربطهم بالعالم الإسلامي كافة ؟ هذا مستحيل ، وستبقى الروح الإسلامية تسود بلادهم وتتقدم أبداً بلا كلل ولا ملل ، ولا بطراً عليها أي ضعف أو وهن . العرب بحاجة ماسة إلى هذه الروح لأنها أساس حياتهم القومية ، ويجب على كل مسلم أن يتمسك بأهدافها إن كان للمسلمين أخلاق ،

ظهر مرين كتاب :

تطور الكتابة العربية

لؤله الأستاذ السعير الشرباصي

وهذا الكتاب يعتبر أول بحث من نوعه في المكتبة العربية . يشرح فيه المؤلف أسباب الخطأ في القراءة ، والعوامل التي تساعد على تحسين المطالعة والخطابة . ويعالج صعوبة الكتابة ويقترح طريقة تيسرها . إلى جانب إلام بتطورات الكتابة ، ونظرات تحليلية عن الخط العربي وفلسفته ويطلب الكتاب من جميع المكاتب في أنحاء الشرق العربي أو من المؤلف بتخصص التدريس بكلية اللغة العربية بشارع الصليبية بالقاهرة وثمان النسخة عشرة قروش وللبريد قرشان .

إدارة الهندسة القروية

بسين الكوم

تقبل العطاءات لغاية ظهر ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٦ عن دق مواسير صرف ارتوازي بيارات دورات مياه مساجد كشيش وسبك الأحد وشطانوف وشبرا قباله وتلنت أبشيش وكفر القريتين ومسجد الخضر في عقد واحد ثمنه جنيه بخلاف مائة مليم يريد ويطلب على ورقة دمنه . ٦٣٢٠